أصيب بفالج أقعده ، فدعا إلى الله وتشفع ، فلما كان فى نومه رأى النبيّ فمسح وجهه بيده المباركة ، وألقى عليه بردة ، فانتبه فإذا هو قد شفى من مرضه ، فنظمها وسمّاها لذلك بالبردة ، تيمناً وتبركاً . وسارت قصتها فأنشدها الناس كذلك تيمناً وتبركاً . والقصيدة تنيف على ثمانين بيتاً ، فيها صلوات على النبيّ ووقوف الأنبياء ببابه يلتمسون الرضا ويتشفعون ، وكلهم يعرف حدّه :

وكلّهم من رسول الله ملتمسٌ ... غرفاً من البحر أو رشفاً من الدّيَمِ
وواقفون لديه عِنْدَ حَدّهم ... مِنْ نقطة العلم أو من شكلة الحِكَمِ

ثم يصفه كرجل وبشر فيقول :

فمبلغ العلم فيه أنه بشرٌ ... وأنّهُ خَيْرُ خَلْق الله كُلّهم
أكرِمْ بخَلْقِ نَبِيٍّ زَانَهُ خُلُقٌ ... بالحُسْنِ مشتمل بالبشر مُتّسِمِ
كالزهر فى ترف والبدر فى شرف ... والبحر فى كرم والدهر فى همم
كأنّه وهو فرد فى جلالته ... فى عسكر حين تلقاه وفى حَشَم

وقد جمع البوصيرى فى هذه الأبيات كلّ ما قال القدماء فى الممدوحين ، فصوّر جمال خلقه وكرم أخلاقه فى حسن وبشر ، وشبهه بالزهر والبدر والبحر والدهر ، وصوّر هيبته كأنه فى عسكر عرمرم وفى حشم كثير . وتحدّث بعد ذلك عن معجزاته فى إيوان كسرى ونار فارس وبحيرة ساوة ، وتساقط الشهب وسجود الأشجار ، وسير الغمام وصنع الحمام ، ممّا تتناقله كتب السيرة . وتكلم عن القرآن ووصف الإسراء ، وعدّد الغزوات ، وختم بالرجاء والدعاء والتماس الشفاعة .

وقصيدة « البردة » هذه ، حفظتها الأجيال الإسلامية فى أقطارها ، ورتلتها فى مناسباتها الدينية ، وتولتها المطابع فى الشرق والغرب ، وشرحها الشارحون منذ